****

**حياة القلوب**

**للشيخ: عبد الله بن سليمان آل مهنا**

**الحمدُ لله، نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ باللهِ من شُرورِ أنفُسِنا وسيئاتِ أعمالِنا، من يَهدِهِ اللهُ فلا مُضلَّ له، ومن يُضلِل فلا هادِيَ له، وأشهدُ ألَّا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له، الأحدُ الصَّمدُ، الذي لم يلِدْ ولم يُولدْ، الأولُ الذي ليسَ قبلَهُ شيء، والآخرُ الذي ليس بعدَهُ شيء، والظاهرُ الذي ليس فوقَهُ شيء، والباطنُ الذي ليس دونَهُ شيء؛وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، وأمينُه على وَحيِهِ، وخيرَتُه من خلقِهِ، أرسلَه رحمةً للعالمين، وإماماً للمُتَّقين، وحَسرةً على الكافرين، وحُجَّةً على العبادِ أجمعين، صلواتُ اللهِ وسلامُه عليه وعلى آلِهِ وأصحابِه إلى يومِ الدين.**

**أمَّا بعدُ فاتَّقوا اللهَ أيُّها المسلمون حقَّ التقوى، واعلمُوا أنَّه تعالى لم يخلُق خلقَهُ سُدىً هَمَلاً، بل جعلَهُم مَورِداً للتكليفِ، ومحلاً للأمرِ والنَّهي، وأعطاهُم موادَ العلمِ والعمَلِ من القلبِ والسمعِ والبصر والجوارِحِ، نعمةً منه تعالى وتفضيلاً لهم؛ فمن استعمَلَ ذلك في طاعتِهِ، وسلَكَ به طريقَ معرِفَتِه على ما أرشدَ إليه، ولم يبغِ عنه عُدولاً، فقد قام بشكرِ ما أوتِيَهُ من ذلك، وسلَكَ بهِ إلى مرضاةَ اللهِ سبيلاً؛ ومن استَعملَ هذه الأعضاءَ والجوارِحَ في شهواتِه، ولم يرعَ حقَّ خالِقِه، فإنَّه يخسرُ إذا سُئلَ عن ذلك، ويحزَنُ حُزناً طويلاً، فإنَّه لابُدَّ من الحسابِ على حقِّ هذه الأعضاءِ لقولِهِ تعالى:( إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَر وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولا).**

**أيُّها المسلمون: ولمَّا كان القلبُ لهذهِ الأعضاءِ كالمَلِكِ المُتسلِّطِ للجنودِ، الذي تصدُرُ كلُها عن أمرِهِ ويستعملُهَا فيما يشاء، فكلُّها تحتَ عبودِيَّتِه وقهرِه، وتكتسبُ منهُ الاستقامَةَ والزَّيْغ، قال النبي صلى الله عليه وسلم:( ألَا وإنَّ في الجسدِ مُضغَةً إذا صَلَحَت صلَحَ الجسدُ كلهُ، وإذا فسَدَت فسدَ الجسدُ كلُه؛ ألا وهيَ القَلْب). فلمَّا عَلِم عدوُ اللهِ إبليس أنَّ المدارَ على القلبِ، والاعتمادَ عليهِ، أجلبَ عليه بالوَساوِسِ، وأقبلَ عليه بوُجُوهِ الشهواتِ، وزيَّنَ له من الأحوالِ والأعمالِ ما يَصُدُّه به عن الطريق، ويقطعُه عن أسبابِ التَّوفيق؛ لهذا أيُّها المسلمون كانَ لِزاماً على كلِّ مسلمٍ أن يخافَ على قلبِهِ أعظمَ من خوفِهِ على بدَنِه، وأكثرُ الخلقِ مع الأسف يخافُون موتَ أبدانِهم، ولا يُبالُون بموتِ قلُوبِهم، ولا يعرِفونَ من الحياةِ إلا الحياةَ الطبيعية، وذلك من مرضِ القلبِ وموتِه، والعِياذُ بالله. فإنَّ هذه الحياةَ الطبيعيةَ شبيهةٌ بالظلِّ الزائل، والنباتِ السريع الجفاف، والمَنامِ الذي يُخيَّلُ كأنَّه حقيقة، فإذا استيقظَ علِمَ أنَّه كان خيالاً. قال الله تعالى:( أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ) وقال: (إِنْ هُوَ إِلا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ).**

**أيُّها المسلمون: وحياةُ القلوبِ تكونُ بالأعمالِ الصالحةِ، وذلك بمعرِفةِ اللهِ ومحبتِه وعبادتِه، قال الله تعالى:(** **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ). وإذا حَيي القلبُ حياةً طيبةً تبِعتُه حياةُ الجوارِحِ فإنَّه ملِكُها، ولهذا جعلَ اللهُ تعالى المعيشةَ الضَّنك لمَنْ أعرَضَ عن ذكْرِه فقالَ:( وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى). وهذه الحياةُ الطيبةُ تكونُ في الدُّورِ الثلاث: في دارِ الدُّنيا، ودارِ البَرْزَخِ، ودارِ القَرَار؛ والمعيشةُ الضَّنكُ أيضاً تكونُ في الدُّورِ الثلاث، فالأبرارُ في النعيمِ هُنا وهناك، والفُجَّارُ في الجحيمِ هُنَا وهُناك. قال الله تعالى:( لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ) وقال:( وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ). فذكرُ اللهِ سُبحانَهُ وتعالى، ومحبَّتُه، وطاعتُه، والإقبالُ عليهِ بالعملِ الصالِحِ ضامنٌ لأطيَبِ الحياةِ في الدُّنيا والآخرةِ؛ أمَّا الإعراضُ عنهُ، والغفلَةُ، ومعصِيتُهُ فإنَّ ذلك كَفِيلٌ\_ والعياذُ باللهِ\_ بالحياةِ المُنغِّصَةِ، والمعيشةِ الضَّنكِ في الدُّنيا والآخرة.**

**أيُّها المسلمون: وكما أنَّ حياةَ القلوبِ تكونُ بالعملِ الصالِحِ، فإنَّها أيضاً تكونُ بالعلمِ، والجهلَ موتٌ للقلوبِ، فإنَّ الجاهلَ مَيِّتُ القلبِ والروح، وإن كانَ حيَّ البدن، فجسدُه قبرٌ يمشي بهِ على وجهِ الأرض. ( أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ). ذكرَ الإمامُّ أحمدُ في كتابِ الزُّهد من كلامِ لُقمانَ الحكيمِ لابنِهِ: يا بُنيَّ جالِس العلماءَ، وزاحِمهُم بالرُّكبِ، فإنَّ اللهَ يُحيِي القلوبَ بنورِ الحكمةِ كما يُحيِي الأرضَ بوابلِ القَطْر.**

**أيُّها المسلمون: وحياةُ القلوبِ أيضاً تكونُ بتركِ الذنوب، فإنَّ كثرَةَ الذنوبِ، والغفلةَ الجاثمةَ على القلبِ، والتعلُّقَ بالرذائلِ والشهواتِ المسموعةِ والمرئيةِ والمقروءةِ يُضعفُ حياة القلب، ولا يزالُ الضعفُ يتوالى عليهِ حتى يموت، وعلامةُ موتِهِ والعياذُ باللهِ ألَّا يعرِفَ معرُوفاً ولا يُنكِرُ مُنكرَاً. قالَ عبدُ اللهِ بن مسعودٍ رضي الله عنه: أتدرونَ من ميتُ القلبِ الذي قيلِ فيه: ليسَ من ماتَ فاستَرَاح بميِّتٍ، إنَّما الميِّتُ ميتُ الأحياءِ؟ قالوا: من هوَ؟ قال: الذي لا يَعرِفُ معروفاً، ولا يُنكِر مُنكراً.**

**قال ابنُ المباركِ رحمَهُ الله:**

**رأيتُ الذنوبَ تُميتُ القلوبَ.. وقد يُورِثُ الذلَّ إدمانُها**

**وتركُ الذنوبِ حياةُ القلوبِ.. وخيرٌ لنفسِك عِصيانُها**

**فعلى المسلمينَ جميعاً أن يَتَّقُوا اللهَ في قلوبِهِم، وأن يُحافِظُوا عليها، ويعلمُوا مادةَ حياتِها فيُحيُوها به، ويعلمُوا أسبابَ فسادِها وموتِها فيجتَنِبُوه؛ ومِلاكُ هذا الأمرِ: تركُ الرُّكونِ إلى الدُّنيا والانغماسِ في شهواتِها، فإنَّها داءُ الأدْواءِ، وحُبالَةَ الشيطان، وما أحسنَ قوْلَ القائلِ:**

**إنَّ للهِ عباداً فُطَّنًا.. طلَّقُوا الدُّنيا وخافُوا الفِتَنَا**

**نظرُوا فيها فلمَّا علِمُوا.. أنَّها ليست لحيٍ وَطنَا**

**تركُوها لُجَّةً واتَّخذوا.. صالحَ الأعمالِ فيها سُفُنَا**

**نفعَنِي اللهُ وإيَّاكم بهَديِ كتابِه، وبسنةِ رسولِه صلى الله عليه وسلم. أقولُ قولِي هذا واستغفرُ اللهَ لي ولكُم من كلِّ ذنبٍ، فاستغفرُوهُ إنَّه هُوَ الغفورُ الرحيم.**